الفصل التاسع

النموذج التاسع
التربية من أجل اسعاد الفرد أبدياً
عن طريق تنمية المعتقدات الدينية
حركة الاصلاح الدينى وحركة الاصلاح المضادة
من التراث الاوروبى فى القرن السادس عشر الميلادى

الفصل التاسع
النموذج التاسع
التربية من أجل اسعاد الفرد أبدياً
عن طريق تنمية المعتقدات الدينية
حركة الاصلاح الدينى وحركة الاصلاح المضادة
من التراث الاوروبى فى القرن السادس عشر الميلادى

مقدمة :

بدأت حركة الاصلاح الدينى بمحاولة اصلاح المساوى، العديدة التى سادت الكنيسة . كان من أهم عوامل هذه الحركة والتى ساعدت على اندلاع الثورة ضد الكنيسة الكاثوليكية ورجالها، انصرافها عن مهمتها الدينية الى الدنيوية مما أضاع هيبة رجال الدين، وظهور الحركات الهرطفية وازدياد عدد اتباعها وانتهى بهم الامر الى الخروج على الكنيسة مادامت هى نفسها منصرفة عن اصلاح أوضاعها . كذلك تسلط البابوية على السلطة العلمانية مما جعل الملوك والامراء، يشعرون بأن استقلالهم ناقص لذا نجدهم يسارعون بمساندة الثورة ضد الكنيسة والوقوف الى جانبها . كما كانت من العوامل المباشرة التى أثارت السخط على رجال الدين المغامرة ببصكوك الفقران كما ظهر الاتجاه نحو الدراسة والنقد وأخذ المفكرون يسلطون الطفل والمنطق على الكنيسة وعلى غيرها من الانظمة . واشتدت الرغبة فى دراسة الاصوال الدينية وكتب القديسين الاوائل . واخذ المفكرون يقارنون بين حقائق دينهم وبين ما وطت اليه الكنيسة من التدنى وكان لذلك أثره على ضرورة التغيير ولايوجد شك فى أن أهم رجلين مهدا لحركة الاصلاح الدينى

التى تزعمها مارتن لوثر فيما بعد حنـــاوكلف John wyclif وحنـــاهس John Huss .

وحنا وكلف انجليزى ولد فى يوركشير عام ١٢٢٨م وتلقى تعليمـــه فى جامعة اكسفورد واكتسب شهرة واسعة فى علم اللاهوت جعلـــت الملـــك أدوارد الثالث يختاره عام ١٣٧٤ عضواً فى الشعبية الملكية التى اوفدها الى برجر Bruges لمفاوضة مندوبى البابا جريجورى الحادى عـــشر فـــى بعض المسائل المختلف عليها بين الطرفين . وبعد عودته من مهمته عكـــف على وضع عدة ابحاث هامة حول العلاقات بين السلطة العلمانية والكنيـــسة وكان يرى أن ملكية الارض ملك للرب وحده وأن جميع الصالحين من عباده لهم حق ملكية الارض وأن هذه الملكية حق مشاع بينهم لان الملكية الفرديـــة جاءت نتيجة خطأ أدم وعلى ذلك لايصح للكنيسة أن تتردى فـــى الخطئيـــة نفسها بل عمل يجب ان تسمو على الملكية الفردية . ويجوز لها أن تحـــتفظ ببعض امركها اذا استغلتها استغلالا طيبا . وقد عـــاب علـــى الـــديريين أن يعيشوا عالة على المجتمع . وقال أن ثروة الكنيسة عامـــل افقـــار لمـــوارد الدولة: كما رأى أن المسيحين ينبغى أن يستمدوا تعاليمهم من الانجيل نفـــسه لا من تعاليم الكنيسة. وأن الصلة بين العبد وربه لاوساطة فيها . لذا فالانجيل يجب أن يكون فى متناول كل مسيحى . وبذلك قام جماعـــة مـــن اعوانـــه بترجمة الانجيل الى الانجليزية تحت اشرافه كما اعتقد فى مبدأ القدر . ورأى أن البعض قدر له الخلاص والرحمة والأخر قدر له الهلاك واللعنة ويكـــون البابا من هذا الفريق ويسمى اتباعه اللوردبين Lollards وقد أمر البابـــا بمكافحة ارائه هذه وانتهى الامر بطرده من اكسفورد واعتزل بقية حياته فى

احدى القرى حتى مات عام ١٣٨٣م لكن زعيم شيعته من بعده وهو حنا أولد كاسل أعدم عام ١٤١٧م .

أما حنا هس فهو تشيكى ولد عام ١٣٧٠م وحصل على الليسانس فى اللاهوت عام ١٣٩٣م ثم على الماجستير فى الاداب وعمل اسقفا وجمع انصارا عديدين لمهاجمة الكنيسة . لم يتلازم موفقه بشكل واضح الا منذ عام ١٤١٢م عندما جرد البابا حنا الثالث والعشرين حملة على لادسلاس Ladisas ملك نابولى ولكى يجمع البابا الاموال لتلك الحملة راح رجال الكنيسة يبيعون للناس صكوك الغفران منهم فى تموين الحملة . وهنا ذهب هس فى هجومة الى حد القول بأن الاوامر البابوية تعتبر ملغاة ولاقيمة لها لتعارضها وتعاليم المسيح . اخيرا صدر قرار ادانته واعدامه حرقا عام ١٤١٥م .

بدأت ردود الفعل تدريجيا فى ايطاليا وخارجها وكان من بين من دعا الى الاصلاح أسافونا رولا Savna Rola ١٤٥٢-١٤٩٨م لكنه أعدم أيضا . لم يمض وقت على موته حتى قام مارتن لوثر فى المانيا بحركته الاصلاحية .

ومارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) كان يعمل استاذاً للفلسفة بجامعة ويتنبرج الالمانية. أصدر مؤلفاً أسماه خطاب للنبلاء الالمان عام ١٥٢٠م طالبهم فيه بالعمل على اصلاح حال الكنيسة قد سبق له أن زار روما عام ١٥١١م للتبرك. وهناك وجد ما ازعجه لما شاهده من فساد رجال الدين. وحدث بعد عودته لوطنه أن ارسل البابا ليو العاشر راهباً لبيع صكوك الغفران، فعارضه لوثر فى عريضة علقها على باب الكنيسة، وسرعان ما أنضم إليه الأمراء، ورجال الأدب مما شجعه على تكثيف الهجوم . مما دعا

البابا إلى اصدار قرار الحرمان مدة عام ١٥٣٠م فرد لوثر على هذا القرار باحراقه علانية. كذلك رفض لوثر وساطة الامبراطور شارل الخامس الذى دعاه إلى التوبة أمام المجتمع الالمانى فحكم عليه المجتمع بالطرد من حماية القانون واباحة دمه فلجأ إلى أمير سكسونيا واختبأ عنده. وفى هذه الأثناء ترجم الانجيل إلى الالمانية حتى يتمكن الشعب من الاطلاع على الأمور الدينية دون وساطة الكنيسة، وقد انضم إلى حركته التلاميذ الراغبين فى الخلاص من بقية قيود الاقطاع والأمراء الطامعين فى أملاك الكنيسة والفرسان الراغبين فى المزيد من النفوذ. وعرف انصاره باسم البروتستانت أى المعارضين أو المحتجين وانتقلت حركته إلى فرنسا وسويسرا وإنجلترا وسكتلندا وهولندا وبجيكا وأمريكا .

ومن أهم آرائه التربوية مطالبته بأن . بتضمن منهج التعليم اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والمنطق والرياضيات والتاريخ والعلوم والموسيقى والألعاب الرياضية. كما نادى بضرورة أن تفتح المدارس أبوابها للنبلاء والعامة والأغنياء والفقراء البنين والبنات. وبذلك أسهم فى إيجاد علاقة قوية بين الاصلاح الدينى والتربية العامة. كما طالب بأن يكون اليوم المدرسى ساعتين وذلك ليهئ لكبار التلاميذ الفرصة للمساهمة فى تأدية الواجبات الاقتصادية العادية فى حياتهم دون عائق. ونادى بفكرة الالزام، إذ طالب السلطات الحاكمة أن تحتم على رعاياها ارسال اطفالهم إلى المدارس فكما أن كل شخص مجبر على أداء الخدماتن العسكرية فهو مجبر أيضاً على أن يتعلم للسبب نفسه . وهو حماية ورفاهية الدولة . كما أوضح أن أهمية المعلم فى العملية التربوية . وتقدير عمل المعلم فقال : " إنك لن تجد فى أى بقعة من الأرض فضيلة أعلى من تلك التى يتحلى بها ذلك الرجل الاجنبى

الذى تعهد إليه بأولادك، فيربيهم بأخلاص وامانة أنه عمل فعلياً يفعله الآبـــاء حتى لأودلاهم ."

لقد ترتب على تلك الحركة أن زعمائها رأوا أن لاسعادة الابدية لكل فرد يتوقف على تحكيم عقله فى التعاليم التى تضمنها الكتاب المقدس. وكانت النتيجة أن القدرة على قراءة الكتاب المقدس والرغبة فى ذلك بلغته الاصلية والحاجة إلى التدريب على تحكيم العقل، كل هذا جعل للمدرسة مهمة تربوية جديدة كما تطلب ذلك تربية الزامية عامة للجميع من جميع الطبقات من بنات وبنين. كذلك كانت وظيفة التربية الاساسية تنمية المعتقدات الدينيـــة وزيـــادة ميل العقل وحبه للكنيسة لأنه سيترتب على هذا سعادته الأبدية. وتأكدت فكرة التربية الحرة التى تركز على الاحساس والعقل الفردى من تحكم الكنيسة كما بدأ الاهتمام بإعداد المعلمين واشتراطه مواصفات شخصية وخلقية وعلميـــة والحصول على ترخيص من الدولة يحيز لهم الالتحاق بمهنة التعليم، كـــذلك تحددت مستوياتهم، ووضعت لهم برامج تدريبية أثناء الخدمة .

وقد أدت هذه الحركة إلى ظهور النظم القومية للتعليم حيـــث طالـــب البروتستانت حكوماتهم القومية والمحلية بإنشاء المدارس وتنظيمها من أجـــل نشر مبادئهم . ويمكن القول أن هذه الحركة هدفت إلى تحرير التربيـــة مـــن القيود الكنسية وتوسيع تهيئة الفرص التعليمية، وتكوين فكـــرة ســـليمة عـــن وظيفة التربية وأهميتها فى الحياة الدينية والدنيوية. كما بـــرز دور الاســـرة كوسيط تربوى وعامل من عوامل تأكيد أهمية التربية .

غير أن أكبر أثر نتج عن هذه الحركة أن ظهر ما يـــسمى بحركـــة الاصلاح المضادة وهى حركة هدفها أيضاً اسعاد الفرد ابدياً لكن عن طريق تقوية النفوذ البابوى وتوسيع نطاق سلطته ومحاربة العقيـــدة البروتـــستانتية.

وكان على رأس هذه الحركة جماعة أطلق عليها اسم جماعة يسوع عام ١٥٤٠م وما يعنينا فى شأن هذه الجماعة نظامهم التعليمى وتصورهم لمعنى التربية .

كانت الوسائل التى اتخذتها هذه الجماعة تحقيقاً لأهدافها تتمثل فى الوعظ والاعتراف والتعليم. وما يعنينا هو وسيلتهم الثالثة إلا وهى التعليم من حيث طريقة التنظيم ومواد الدراسة وطرق التدريس وأسلوب الإدارة المدرسية فلم تقتصر مهمتهم على تربية الافراد التابعين لهم بل الشباب بوجه عام وتزويدهم بالتربية الدينية والمدنية فى أن واحد واولوا اهتماماً خاصاً بالتعليم العالى لأن نشاطم كان منصباً فى الاساس على تربية القادة والزعماء. لذا فقد أنشاؤا نوعين من المعاهد التعليمية وهما الكليات الدنيا وتقابل المدارس الثانوية والكليات العليا وتقابل مدارس اللاهوت والجامعات، ولم يتقاضوا أجرا عن التعليم الأمر الذى أدى إلى جذب الطلاب إليهم من اتباع المذاهب المعارضة لمذهبهم، ويراس هذه المدارس قائداً أعلى منتخب مدى الحياة له سلطة مطلقة يعاونه مستشارون، كما كانت هذه الطائفة مقسمة إلى دوائر إدارية يرأس كل منها مسئول أمام القائد الأعلى، وكان عمداء، الكليات المختلفة يتبعون رئيس الدائرة ويلى هؤلاء العمداء، عرفاء وهم رؤساء الدراسات ويعينهم رئيس الدائرة، ويخضع المعلمون لرقابة العميد والعرفاء، وكان على العمداء وكان العرفاء زيارة الفصول للتأكيد عن حسن سير الدراسة.

وقسم التلاميذ إلى مجموعات يرأس كل منها مقدم، ويقسم أيضاً التلاميذ إلى ثنائى بحث يشرف كل تلميذ على زميل له حتى يضمنوا الطاعة واحترام السلطة المطلقة. ومنعوا العقوبات البدنية ولجأوا إلى مبدأ الثواب